

تطور غرض الشكوى في الشعر العربي عبر العصور

The Evolution of the Theme of Complaint in Arabic Poetry Across the Ages

Dr. Yasmin Akhtar

Assistant professor Arabic department IIUI islamabad.

Email: yasmin.akhtar@iiu.edu.pk

Dr. Qasim Azzam Bhutta

Assistant professor Arabic department NUML Islamabad

Email: qabhutta@numl.edu.pk

Dr. Farah naz

Assistant professor Arabic department NUML Islamabad

Email: farah.naz@numl.edu.pk

Abstract:

The theme of complaint is one of the significant poetic themes that reflect human conditions and suffering across different eras. It evolved over time, adapting to the changing social, political, and economic circumstances, giving it diverse dimensions depending on the context of each era.

In the Pre-Islamic Era, complaint was linked to the harshness of nature and time, as poets expressed their struggles with drought and deprivation.

In the Islamic Era, individual complaints decreased under the influence of Islamic values, while complaints about injustice and poverty emerged as part of social responsibility.

In the Abbasid Era, the scope of complaints expanded to include poverty, illness, envy, and the poets' frustrations with the complexities and uncertainties of life.

In the Andalusian Era, complaints reflected a connection with nature and political events, especially during the decline of Muslim rule and the fall of Al-Andalus.

Key words: *Evolution, Theme, Complaint, Arabic Poetry, Across the Ages*

المقدمة

الشكوى تعبير عن آلام الإنسان المكنونة وأحزانه المؤلمة ومشاكله التي يواجهها في الحياة نفسية كانت أو اجتماعية أو سياسية. فأدرس أولاً مفهوم الشكوى لغة لإدراك دلالات الشكوى المختلفة من الاشتقاقات المتعددة، وثانياً أتناول مفهوم الشكوى اصطلاحاً في ضوء آراء العلماء والأدباء.

أ- مفهوم الشكوى لغة

يقول الخليل الفراهيدي¹: "شكو، الشكوى: الاشتكاء تقول: شكا يشكو شكاة، ويستعمل الاشتكاء في الموجددة والمرض. هو شاك: مريض، وقد تشكى واشتكى. وشكا إلى فلان فلانا، فأشكيت، أي: أخذت ما يرضاه. والشكو: المرض نفسه".²

ويزيد الجوهري³ (ت-393 هـ): "أشكيت أيضاً، إذا أعتبت من شكواه ونزعت عن شكايته وأزلته عما يشكوه؛ وهو من الأضداد. قال الراجز:

تمد بالأعناق أو تلويها وتشتكي لو أننا نشكيها"⁴

ويذكر الزبيدي⁵ مضيفاً أن "الشكاية معناها الإخبار بضعف حاله. وشكى فلاناً: إذا أخبره بشيء فعله به. ثم ينقل قول الراغب إن الشكاية إظهار البت، يقال شكوت واشتكيت ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو

1- هو الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن الإمام، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، البصري، أحد الأعلام. ولد في البصرة عام (100هـ) ونشأ عابداً لله تعالى، مجتهداً في طلب العلم، واسع المعرفة، شديد الذكاء. وتوفي سنة 170هـ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضوي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1425هـ - 2004م مج 2 ص: 8، 9، 10. وكذلك راجع: وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان لابن خلكان، تح: الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت (بدون تاريخ)، مج: 2 ص: 244.

2- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي الدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة - إيران - الطبعة الثانية 1409 هـ، في مادة (شكو) ج 5 ص: 388.

3- هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ابن أخت الفارابي، بدأ دراسته عند خاله في موطنه "فاراب" ومات سنة 393هـ. انظر: تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، دار المعارف - 1119 كورنيش النيل - القاهرة الطبعة الخامسة، ج 2 (بدون تاريخ)، ص: 259.

4- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م، من مادة (شكا) ج 6 ص: 2394.

5- محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب بمرتضى، من علماء اللغة والحديث والرجال والأنساب، ومن كبار المصنفين. من مصنفاته: تاج العروس في شرح القاموس، إتخاف السادة المتقين في شرح إحياء العلوم للغزالي. وتوفي سنة 1205هـ. انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة السادسة 1984م، ج 7 ص: 70. ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة - دار إحياء التراث العربي - بيروت ج 11 ص: 282.

بَيَّيْ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ¹ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَشْتَكَى إِلَى اللَّهِ ² وَأَصْلُ الشَّكْوِ فَتَحَ الشَّكْوَةَ . وإظهار ما فيها ، وهي سِقَاءٌ صَغِيرٌ ، وكأنَّه في الْأَصْلِ اسْتِعَارَةٌ كَقَوْلِهِمْ : بَثَّتْ لَهُ مَا فِي وَعَائِي ، وَنَقَضَتْ لَهُ مَا فِي جِرَائِي ، إِذَا أَظْهَرْتَ مَا فِي قَلْبِكَ "3.

أما أصحاب المعجم الوسيط فيكتبون : "(اشتكى) شكا و مرض واتخذ الشكوة ولجأ إليه ليزيل شكواه ويستشهدون بالآية القرآنية : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ⁴ (تشاكى) القوم شكا بعضهم إلى بعض , و تشكى أي اشتكى , و الشكاة أي الشكوى و المرض و العيب , و (الشكوى) التوجع من ألم و نحوه "5.

ويظهر من كلِّ هذا الكلام أنَّ جميع الاشتقاقات لكلمة الشكوى تؤدِّي معنى الوجع والألم والحزن والمرض والعيب وإظهار ما يُبَيَّنُّ في الإنسان و إخبارُ بسوءِ الفعلِ به إلا كلمة أشكى بإضافة الهمزة تفيد إزالة هذا الحزن والهمم ما يرضى به الإنسان.

ب- مفهوم الشكوى اصطلاحاً

وقد ذكرت في هذا البحث مفهوم الشكوى لغةً, ولكن اللغويين لم يعتنوا بالتعريف الاصطلاحي وإنما الباحثون المعاصرون وضعوا تعريفات في إطار محدد.

إنَّ الشكوى ميل فطري عند الإنسان يلجأ إليه عند الشعور بالألم أو الحزن أو اليأس وما يوافق ذلك من إحساس بالاضطهاد أو الطغيان أو الظلم أو الاضطراب في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية ويخرج الإنسان هذا الشعور لدفع الظلم الواقع عليه من الأفراد أو من المجتمع.

عرّف الأستاذ بيان علي عبد الرحيم: "الشكوى هي تعبير عن الحرمان والإحساس بالظلم وتظهر عندما تتعقد ظروف الإنسان⁶" وقسم الشكوى إلى قسمين الشكوى الخاصة والشكوى العامة .

6- سورة يوسف , الآية: 86.

7- سورة المجادلة , الآية :1.

8- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين , دار الهداية , من مادة (شكو , شكى) ج 38 ص: 388. انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، ن: نور محمد أسخ المطالع، كارخانه تجارت كتب آرام- باغ كراتشي، ص: 266.

9- سورة المجادلة , الآية :1.

5 - المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى — أحمد الزيات — حامد عبد القادر — محمد النجار، تح: مجمع اللغة العربية , من مادة (شكا) جـ 1 ص: 1021

6 - مقالة " شعر البصرة في القرن الرابع الهجري " للأستاذ بيان علي الرحيم، ص: 1

فالشكوى الخاصة : تتناول المسائل الخاصة إذ يشكو الشاعر مما يتصل بفقدان الشباب أو الآمال غير المحققة وغيرها وأحيانا قد تخرج من خصوصيتها إلى نطاق إنساني واسع حيث إنها مشكلة تواجه البشر جميعا.

أما الشكوى العامة : فهي تضم شكوى الزمان وذم الدنيا.¹

وكذلك يقدم لنا الباحث الآخر الدكتور محمد حسين الأعرجي نظرة عامة حول مفهوم الشكوى ويقسمها إلى قسمين أيضا: 1- الشكوى الخاصة. 2- الشكوى العامة

أولاً: "الشكوى الخاصة" : وهي تعني بالإنسان وما يعانيه من مشاكل ذاتية لا تتعدى دائرة شيخوخته وهجر حبيبته وما إلى ذلك.

ثانياً: الشكوى العامة : ومن مظاهرها شكوى الزمان وتغير أحواله بعد أن ضاعت مقاييسه, واضطربت موازينه, وقد يكون الفقر الناجم عن التدهور الاقتصادي سبب شكوى الشاعر.²

وإنّ الإنسان خلق في كبد, وهولا يستقر في حالة واحدة مستقرة, بل يكون مضطرا أن يلجأ إلى الشكوى لما ينتابه الألم والمرض والظلم وإبداء الأوجاع, لذا تعكس إحساسات المرء الحزينة كالضعف والانكسار والظلم. وتزيد الشكوى والحسرة في الأحوال المؤلمة.

"أما مجال الشعر فهو الشعور, سواء أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة كشف فيها عن جانب من جوانب النفس , أو نفذ من خلال تجربته الذاتية إلى مسائل الكون , أو مشكلة من مشكلات المجتمع, تترأى من ثنايا شعوره وإحساسه".³

و"الشكوى فن من فنون الشعر الوجداني العميق, وهي بعد ذلك لون من ألوان الشعر المتجدد لاتساع نطاقها بين الشعراء نتيجة للحياة الاجتماعية القاسية في ذلك العصر, وبخاصة شكوى الزمان أو " الدهريات" وهناك من فروع هذا الفن شكوى الأهل والأصدقاء, وندرة الوفاء , واختفاء المعروف بين الناس".⁴

فالشكوى أبرز الفنون الشعرية وأصدقها لتصوير عواطف الناس المشحونة بالتعب وقضايا إنسانية ومشاهد اجتماعية وهموم بشرية.

¹ - نفس المرجع والصفحة كذلك.

13- جريدة عراقية " طريق الشعب", العدد 87 السنة 73 الأربعاء 12 كانون الأول 2007م, ص: 7.

³ - النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال , دار نضضة مصر -الغزالة - القاهرة (بدون تاريخ) ص: 356.

15- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين د. مصطفى الشكعة , عالم الكتب بيروت 1981م , ص: 69.

في عهد الجاهلية كان الشعر العربي ديوان العرب وأصح العلوم عندهم , وكان وسيلة الرفع من شأن القبيلة وإهانتها وخطّ قدرها وقيمتها.

وفي صدر الإسلام كان الشعر طريقة من طرق المحافظة على أسس الإسلام وقوانينه ومناهجه ضد مشركي مكة. وكذلك كان الشعر في عهد بني أمية وفي العصر العباسي وسيلة توصيل الآراء والمواقف السياسية والقبلية والفكرية المتنازعة مدافعة عن مبادئها وأغراضها وأهدافها في مواجهة مخالفيها وخصومها.

وكان للشعر العربي دور أساسي في تقدّم الأمة الإسلامية أدبا وفكرة وسياسة. فتفتّن الشعر شكلا ومضمونا وأسلوبا ولغة عبر الزمن, والشكوى فن من فنون الشعر العربي التي قرّضها كثير من الشعراء عما يجيش في أكبادهم من الهموم والأحزان نتيجة الخلل الواقع في الحياة السياسية والاجتماعية أو الفردية أو الاقتصادية, ولكن الشكوى تنوّعت وتحدّدت باختلاف الأوضاع العصرية مع مرور الزمن. وهي غرض مستقل من الأغراض الشعرية التي باح بها الشعراء عن عواطفهم الرقيقة وإحاسيسهم المرفهة.

العصر الجاهلي

يمثّل الشعر العربي الجاهلي نموذجا رائعا لحياة العرب الاجتماعية والسياسية والأدبية وقام العلماء بحفظ هذه الثروة القيمة. وما كانت الشكوى اتجاها مستقلا بل كانت تضم الأغراض الأخرى كالغزل والمدح والوصف في القصيدة ولكنّها قريبة جدا من الرثاء والهجاء والوصف والغزل " وعرض امرؤ القيس¹ الشاعر الشكوى من الليل الطويل الذي ثقل عليه لسبب الهموم والأحزان:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي²

وفي العصر الجاهلي ما كان الشعراء يشكون كثيرا لأنهم يفتخرون ويتحمسون لقبائلهم ويكثرون أمجادهم وأعمالهم لكنّهم يكون على الأطلال والدور الدائرة شاكين لفراق أحبائهم وحبيبتهم وآلام حبّهم وعداوة الأصدقاء والأقرباء.

¹ - هو حنّج بن حجر , يكنى أبا الحارث , وأبا وهب, ويلقب بالملك الضليل, وذو القروح, وكان من قبيلة كندة , ومن بيت السيادة فيها , وهي قبيلة يمنية , وكان أبوه وأعمامه ملوكا على قبائل من العرب, ويظن أنه ولد في أوائل القرن السادس للميلاد , وليس مكتوبا بالضبط تاريخ موته, ويغلب أن يكون بين سنتي 530/ و540. انظر: تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي , مكتبة الإيمان , راجعه وضبطه : عبدالله المنشاوي و مهدي البحيري , مكتبة الإيمان المنصورة - أمام جامعة الأزهر, الطبعة الأولى 1997م ج 2 ص: 130 , وتاريخ الأدب العربي -العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف دارالمعارف- القاهرة , الطبعة الرابعة والعشرون 2003م ص: 232, 243. وديوان امرؤ القيس ,اعتنى به وشرحه:عبد الرحمن المصطاوي,دارالمعرفة بيروت-لبنان, الطبعة الثانية 1425هـ-2004م,ص:9.

² - ديوان امرؤ القيس , ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي, دارالكتب العلمية بيروت-لبنان, الطبعة الخامسة 1425هـ-2004م ص:117.

ويشكو زهير بن أبي سلمى¹:

وكانت تشتكي الأضغان منها اللجون الحبّ واللحج الحرون²

ويشكومن تكاليف الحياة أيضا:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم³

واشتكى الشعراء الجاهليون لأجل التخفيف والتسلية من الألم الداخلي والظلم الواقع عليهم من الفرد أو من المجتمع. وهم لا يتكلفون ولا يبالغون في قولهم، بل يعبرون عن تجربة صادقة في أشعارهم وكانوا يخلصون لفنهم وذلك "من أهم ما يلاحظ على الشعر الجاهلي أنه كامل الصياغة، فالتراكيب تامة ولها دائما رصيد من المدلولات تعبر عنه، وهي في الأكثر مدلولات حسية، والعبارة تستوفي أداء مدلولها، فلا قصور فيها ولا عجز".⁴

وكذلك شكا الشعراء الجاهليون من الدهر ونوائبه، ومن الأيام ومن أهل الزمان ومن الأقارب لسوء معاملتهم. كما يقدم الشاعر عنتر بن شداد⁵

أَعَاتِبُ دَهْرًا لَا يَلِيْنُ لِعَاتِبِ وَأَطْلُبُ أَمْنًا مِنْ صُرُوفِ النَّوَائِبِ

وَتُوْعِدُنِي الْأَيَّامُ وَعْدًا تَعُزِّي وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ وَعْدُ كَاذِبِ

خَدَمْتُ أَنْاسًا وَاتَّخَذْتُ أَقْرَابًا لِعَوْنِي وَلَكِنْ أَصْبَحُوا كَالْعَقَارِبِ⁶

¹ - هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، يرتفع نسبه إلى نزار، كان ورعا حكيما، وقد ورث زهير الشعر عن أبيه وخاله. وكان شاعرا مجيدا كما كان سيدا شريفا ثريا، وقد عاش زهير في خلال الحروب داحس والغبراء التي نشبت بين عبس و ذبيان وانظر: تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي، ج 2 ص: 130.

73- أي كان في صدرها التواء على أصحابها وامتناع لنشاطها، فكأنها ذات حقد وعداوة. راجع: ديوان زهير بن أبي سلمى، دارصادر بيروت، ص: 102.

74- المصدر نفسه، ص: 86.

⁴ - تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف - العصر الجاهلي، دارالمعارف - 1119 كورنيش النيل - القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون ص: 226.

⁵ - هو أبو المغلس عنتر بن عمرو بن شداد العبسي، فهو من هجاء العرب وأغربهم، وقتل حوالي 615م. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص: 58.

77- شرح ديوان عنتر بن شداد تحقيق بدر الدين حاضري محمد حمامي، دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1412 هـ، ص:

وكما يعلي شكوى الأقرباء لأشدّ معاملتهم وأسوأ، على نحو يقول طرفة بن العبد¹:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند²

يقول الحارث بن حلزة³:

لما جفاني أخلائي وأسلمني دهري ولحم عظامي اليوم يعتزق⁴

يشكو من تنكرا لأصدقاء لما ساءت حاله وبات فقيرا.

والشعر الجاهلي كان تعبيرا صادقا وسجلا حقيقيا عن حياة العرب وأحوالهم النفسية والاجتماعية.

العصر الإسلامي

إنّ نهضة الشعر قد استمرت بعد الإسلام، إن لم تكن قد تقدمت خطوات، بما هيأ لها الإسلام من أسباب التقدم والنهوض. فابن خلدون⁵ مثلا يفضل شعر الإسلاميين على شعر الجاهليين فيقول: "إنّ كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين في من ثورهم⁶ ومنظومهم، فإنّا نجد

¹ - هو طرفة بن العبد بن سفيان، نسبه المفضل إلى معد بن عدنان و يقولون إنه أشعر الشعراء بعد امرئ القيس، تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي، ج 2 ص: 130.

79- ديوان طرفة بن العبد، تح: سيف الدين الكاتب، دار مكتبة الحياة - بيروت (بدون تاريخ)، ص: 25.

³ - هو ابن يشكر بن وائل، فارس مقدم وشاعر مجيد، وسيد من سادات بكر، كما كان عمرو بن كلثوم سيد تغلب. وانظر: ص: 183. وانظر: أشعار الشعراء الستة الجاهليين - مختارات من الشعر الجاهلي لأعلم الشنتمري، شرح وتحقيق: د- محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجليل - بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ - 1992م، ج 1 ص: 182.

81- الأخلاء: جمع خليل وهو الصديق والرفيق. اعتزق العظم: جرد ما عليه من اللحم وأكله. - ديوان الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم، شرح مجيد طراد، دار الجليل بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ - 1998م، ص: 70.

⁵ - هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون، ينتهي نسبه إلى وائل من قبائل كندة. ولد في أول رمضان سنة 732هـ بتونس. وحفظ القرآن الكريم. ومات في رمضان سنة 808هـ. ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، الملحق التابع للبدر الطالع للسيد الحفاظة النسابة المؤرخ محمد بن محمد بن يحيى زبارة اليمني، بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر بالقاهرة، الطبعة الأولى 1348هـ ج 1 ص: 337, 338.

⁶ - هكذا وردت في مصدرها والصواب "منثورهم".

شعر حسان بن ثابت¹ وعمر بن ربيعة²....أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة³ وعنترة... وزهير. والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام من القرآن والحديث، اللذين أعجزا البشر عن الإتيان بمثلهما. فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية⁴

عندما جاء الإسلام كثر اهتمام المسلمين ببلاغة القرآن وفصاحة السنّة المطهرة، لكن الشعراء لم ينصرفوا عن نظم الشعراء، بل اتخذوه وسيلة الدفاع عن الإسلام ضدّ المشركين حسب تحديد موقف القرآن الكريم من الشعر. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾⁵.

و كثر الشكوى بسبب الحروب بين الكفار والمسلمين، وزادت المشاكل للنفي والهجرة والقيود وإصابة الجروح والقتلى، وشكا الشعراء بسبب الحنين إلى أوطانهم وأهلهم وبسبب الجروح الموحجة الموصولة من الغربة والقتال. وتحول مسار الشكوى في هذا العصر إلى الإسلام، والإيمان به حين اشتكى بعض الشعراء إلى الله عز وجل لكربتهم وأحزانهم لأنه هو الملجأ والمأوى والمعين.

وقال خبيب بن عدي⁶ رضي الله عنه حين حاول الكفار صلبه:-

1 -- هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري، ولد بالمدينة ونشأ في الجاهلية، وعاش على الشعر، فكان يمدح المناذرة والغساسنة ويتقبل صلاتهم. وكان حسان في الجاهلية شاعر أهل المدن، وفي البعثة شاعر النبوة، وفي الإسلام شاعر اليمانية. وكان يغلب في شعره الفخر والحماسة والمدح والمجاء، وتوفي سنة 54هـ. تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص: 152.

85- هو أبو أمامة زياد بن معاوية، ولقب بالنابغة لأنه لم يقل الشعر حتى احتنك، ثم فجيء الناس بشعر بدّ به الشعراء، وكان له منه مادة لا تنقطع فشيءه بالماء النابغ وهو أحد سراة بني ذبيان ومن ذوي مثالتهم، ولكن تكسبه بالشعر غرض من قدره وطأطأ من إشرافه. وكانت وفاته في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات، ص: 49، 50.

3 - هو أبو أمامة زياد بن معاوية، ولقب بالنابغة لأنه لم يقل الشعر حتى احتنك، وهو أحد سراة بني ذبيان ومن ذوي مثالتهم، ولكن تكسبه بالشعر غرض من قدره وطأطأ من إشرافه. وكانت وفاته في السنة الثامنة قبل الهجرة. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص: 49، 50.

4 - مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون، دار الشعب مصر، ص: 544. انظر: الإسلام والشعر، د. سامي مكي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها العباس الوطنية للثقافة والفنون والآداب - الكويت، صدرت السلسلة في يناير 1978م بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923م - 1990م، ص: 16-17.

88- سورة الشعراء، الآية 225-227

6 - هو ابن عامر بن مجعدة بن جحجبا الأنصاري الشهيد ذكره ابن سعد فقال: شهد أحدا، وكان فيمن بعثه النبي (ص) مع بني لحيان، فلما صاروا بالرجيع، غدروا بهم، واستصرخوا عليهم، وقتلوا فيهم، وأسروا خبيبا، وزيد بن الدثنة، فباعوهما بمكة، فقتلوهما بمن قتل النبي (ص)، من قومهم، وصلبوهما بالتنعيم. انظر: وسير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حقق نصوصه، وخرّج أحاديثه،

إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي¹
يشكو إلى الله غربته وكربته وعجزه وقلقه لغلبة الأعداء و ضعف قوته وقلة حيلته عندما حاصره
الكفار وأظهروا عداوتهم وعنفهم رغم جزعه الطويل.
وعرض الإسلام فكرة واضحة عن الحياة والموت ومن بعدهما البعث والحساب والجنة والنار وكان الله قادرا
على تصريف كل هذه الأمور، وهو الذي يهلك ويفي . وأبطل الإسلام المعتقدات الجاهلية أنّ الدهر يملك
قوة خارقة ، ويتضح ذلك من خلال شعر اليربوعي² حين يرثي فقيده:
إلي الله أشكو لا إلى الناس فقدته ولوعة حزن أوجع القلب داخله "3
ويشتكي الشاعر يزيد بن قيس بن يزيد بن الصّعق يذكر الخليفة عمر⁴ رضي الله عنه بمكانته
ومسؤوليته تجاه الولاة الذين يختلسون الأموال قائلا :
أبلغ أمير المؤمنين رسالة فأنت أمين الله في النهي والأمر
وَأَنْتَ أَمِيرُ اللَّهِ فَيُنَا وَمَنْ يَكُنْ أَمِيناً لِرَبِّ النَّاسِ يَسْلَمَ لَهُ صَدْرِي⁵

وعلق عليه شعيب الأرنؤوط و حسين الأسد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت شارع سوريا الطبعة الأولى 1401هـ -
1981م ج 1ص: 246.

90- دلائل النبوة للبيهقي لأحمد بن الحسين البيهقي أبو بكر ، دار الكتب العلمية ، دار الريان للتراث - الطبعة الأولى - 1408 هـ -
م 1988 ، ج 3 ص: 404. وانظر: المعجم الكبير للطبراني، المحقق: حمدي السلفي دار الصميعي - الرياض، الطبعة الأولى - 1415 هـ
- 1994م، ج 5 ص: 338 .

² - هوالمشمر دل ابن الشريك اليربوعي من شعراء العصر الأموي . انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني تح: إبراهيم الآبياري ، ج 13 ص:
4863.

⁹² - المصدر نفسه ص: 4865.

4 - هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرظ بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب ، وفي كعب يجتمع نسبه مع نسب
النبي . وإنما سمي الفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل ، وكنيته أبو حفص ، وهو أول من سمي بأمير المؤمنين. وكان متواضعا ، خشن الملبس ،
شديدا في ذات الله ، واتبعه عماله في سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه ، كل يتشبه به ممن غاب أو حضر. وبويع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
فما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين ، فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه يوم الأربعاء . وقتل في الصلاة الصبح ، وهو ابن ثلاث وستين
سنة ، ودفن مع النبي وأبي بكر ، عند رجلي النبي . انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ،
شرحه وقدم له : الدكتور مفيد محمد قميحة أستاذ الأدب العربي في الجامعة اللبنانية ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى
1406هـ - 1986م ج 2 ص: 333، 334.

⁵ - الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام للدكتور علي الشعبي (نسخة إلكترونية مأخوذة من المكتبة الشاملة) ج 1
ص: 217.

كما قدّم الشعراء "شكوى بعض الجنود من الولاة والعمال حين يخونون فيما ائتمنوا عليه, على نحو ما نجد عند يزيد بن الصعق, فقد أرسل بشكوى طويلة إلى عمر بن الخطاب من أصحاب الخراج, يقصّ عليه كيف أثروا ثراء غير مشروع من أعمالهم التي يتولونها وما يأخذون لأنفسهم من المغازي, وفيها يقول:

نؤوب إذا آبوا ونغزو إذا غزوا فأني لهم وفر وليس لنا وفر¹

وقد أثر الإسلام تأثيراً بارزاً في خصائص الشعر الفنية لفظاً ومعنى وفكرة وصورة وخيالاً. واستعان الشعراء بأساليبه البارعة وألفاظه العذبة وتخلّصوا عن الألفاظ الجافة والمعاني الجامدة التي حفل بها العصر الجاهلي وكان للشعر أسلوب سهل واضح. ويلجأ الشاعر إلى الله حين يشكو من حبيته, لأنه تعلّم من تعاليم الإسلام أن الشكوى لله وحده, يقول جميل بثينة²:

إلى الله أشكو, لا إلى الناس حبها ولا بد من شكوى حبيب يروع

ألا تتقين الله فيمن قتلته فأمسى إليكم خاشعاً يتضرع³

وكذلك في العصر الأموي صوّر الشعراء الأوضاع الاجتماعية والسياسية الفاسدة حين وزّعت الأموال والمناصب السياسية. وتكلّموا عن الظلم والجور واليأس الذي وجد في المجتمع, ويعلي الشاعر الراعي النميري⁴ الشكوى إلى الخليفة عبد الملك بن مروان⁵ لشدة الضرائب التي جلدوا العاجزين عن دفعها:

¹ - تاريخ أدب العربي - العصر الإسلامي لشوقي ضيف, دارالمعارف - 1119 كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع 2002م الطبعة العشرون, ج 2 ص: 66.

² - هو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان, أغلب الظن أنه ولد في أواخر خلافة عثمان بن عفّان أو بعدها بقليل, ويجمع الرواة على أن جميلاً مات بعيداً من وادي القرى, غريباً عن وطنه وأحبابه 82هـ. لأنه ترك بلاده هرباً من السلطان بعد أن أهدر دمه. انظر: شعراؤنا ديوان جميل بثينة, جمعه وحققه وشرحه: د-إميل بديع يعقوب, دارالكتاب العربي بيروت - لبنان 1425هـ - 2004م ص: 10, 11, 14.

⁹⁷ - شرح ديوان جميل بثينة, وشرحه وقدم له: مهدي محمد ناصرالدين, دارالكتب العلمية- بيروت ط 1, 1407هـ ج 1 ص: 60. انظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف و الجزء الثاني, ص: 177.

⁴ - هو محمد بن عبد الله بن نخير بن خرشقة الثقفي النميري, من شعراء العصر الأموي مات في نحو سنة 90هـ. انظر: الأعلام للزركلي, الطبعة الثالثة (بدون تاريخ) ج 7 ص: 89.

⁵ - هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد الشمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب, أبو الوليد. ولد سنة ست وعشرين, وبويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير, فلم تصح خلافته, وبقي متغلباً على مصر والشام, وفي سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك الخليفة, وسير الحجاج أميراً على العراق. وكان أول من كتب في صدور الطوامير "قل هو الله أحد" وكان عبد الملك يقول: ولدت في رمضان, وفطمت في رمضان, وختمت القرآن في رمضان, وبلغت الحلم في رمضان, وولّيت في رمضان, وأتتني الخلافة في رمضان

أخليفة الرحمن إنا معشر حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى الله في أموالنا حق الزكاة منزلا تنزيلا
إن السعاة عصوك يوم أمرتهم وأتوا دواهي لو علمت وغولا
أخذوا العريف فقطعوا حيزومه¹ بالأصبحية قائما مغلولا
إن الذين أمرتهم أن يعدلوا لم يفعلوا مما أمرت فتिला2
ويعرض الشاعر أيضا الشكوى على الخليفة عبد الملك بن مروان ، موضحا فيها ظلم السعاة ، مما
ضاعفت الهموم والمشاكل، ويقول:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة شكوى إليك مظلة وعويلا
من نازح كثرت إليك همومه لو يستطيع إلى اللقاء سبيلا3
ويقول الفرزدق⁴ شاكياً:

لئن قيس عيلان اشتكتني لمثل ما بها يتشكى حين مضت كلومها5
ويشكو جرير⁶:

إلى الله أشكو أن بالغور حاجة وأخرى إذا أبصرت نجدا بداليا !

، وأخشى أن أموت في رمضان ، فلما دخل شوال وأمن ، مات. انظر: تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ص: 245،
253، 254. و فوات الوفيات والذيل عليها محمد بن شاكر الكتيبي، تح: الدكتور إحسان عباس، دارصادر بيروت (بدون تاريخ) ص: 402.
¹ - خَيْثُوم : (فَرَسٌ جَرِيْلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ) رَكِبَ عَلَيْهَا إِذْ أَتَى مُوسَى لِيَذْهَبَ .. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، ج1: 31
ص: 480.

² - فَنِيلاً أَي مِقْدَارَ تِلْكَ السَّحَابَةِ الَّتِي فِي شَقِّ النَّوَاةِ . انظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، ج 30 ص: 144. راجع للأبيات
إلى :شعرالراعي النميري، تح: الدكتور نوري حمودي القيسي ، وهلال ناجي، مطبعة المجمع العراقي سنة 1400م ص: 54 . وانظر: تاريخ
الأدب العربي لشوقي ضيف ج 2 ص: 209.

1. ¹⁰² - شعرالراعي النميري، تح: الدكتور نوري حمودي القيسي ، وهلال ناجي، مطبعة المجمع العراقي سنة 1400م ص: 54.
⁴ - هو هام بن غالب بن صعصعة من دارم ، فمن تميم ، كنيته أبو فراس، ولقبه الفرزدق، لقب به لغلاظة وجهه، ولد في البصرة 114هـ
وأصيب الفرزدق بذات الجنب فكانت سبب وفاته. انظر: ديوان الفرزدق ، دارصادر بيروت (بدون تاريخ) مج: 1 ص: 5.

104- اشتكتني: أزالته شكواي، مضت: أوجعت، الكلوم: الجروح، إن قيس عيلان أزالته شكواه حين أصابته الجروح الموحجة. انظر: ديوان
الفرزدق، قدم له وشرحه مجيد طراد، دارالكتاب العربي، بيروت- لبنان، الجزء الأول، ص: 338.

⁶ - ولد في سنة 33هـ، وتوفي سنة 114هـ . هو جرير بن عطية ، بن حذيفة الملقب بالخطفي . ولد في اليمامة. انظر: شعراونا شرح ديوان
جرير قدم له ، وشرحه: تاج الدين سلق، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان 1425هـ - 2005م، ص: 4.

إذا نحن في دارالجميع، كأنما يكون علينا نصف حول لياليا¹

ويشتكي الشاعر كعب الأشقر² ظلم العمال وشدّتهم :

إن كنت تحفظ ما يليك فإنما عمال أرضك بالبلاد ذئاب

لن يستجيبوا للذي تدعو له حتى تجلّد بالسيوف رقاب³

ويظهر من هنا أن شعر الشكوى استجاب لرسالة الإسلام صدقا وأمانة وإخلاصا وفكرة طيبة لتطهير نفوس الناس وتهذيب أخلاقهم المليئة بالفسق والجور. فالشعر كان تعبيرا صادقا عن الإحساسات البشرية وعمّا يجري في المجتمع. وكان أثر الإسلام واضحا في ألفاظه ومعانيه.

العصر العباسي

في هذا العصر تطوّر الشعر تطورا كبيرا في أغراضه ومعانيه وفي أسلوبه الفني، لغة و وزناً وقافية. وهذه كانت نتيجة الاختلاط بشتى الأجناس البشرية ، وتقدّم العلوم الدينية واللغوية والأدبية، واتساع حركة التأليف، وظهور المعارف الفلسفية. وفي هذا العصر ظهر الشعراء المحدثون مثل بشار⁴ وأبي نواس⁵ والطغرائي⁶. "ونشأ صراع حاد بين أولئك المحدثين والمحافظين فيما يسمى اصطلاحاً قضية عمود الشعر. وكانت الحضارة العباسية متميزة بنضج عقلي لذا كثرت الشكوى لما واجه الناس في القرن الرابع الهجري بضروب من المحن

106- شرح ديوان جرير، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي، ن: دارالكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ص: 708.

2 - هو كعب بن معدان الأشقر، والأشقر قبيلة من الأزدي، وأمّه من عبد القيس شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان، من أصحاب المهلب . وهو شاعر عماني عاش في العهد الأموي. انظر: الأغاني للأصفهاني (ت356هـ)، دار الفكر (بدون التاريخ) ج 13 ص: 54. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى 1993م ، ج 2 ص: 669. والأعلام للزركلي، دار العلم للملايين لبنان- الطبعة الخامسة 1980م، ج 5 ص: 229.

3 - الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام للدكتور علي الشعيبي (قد سبقت الإشارة إليه)، ج 1 ص: 224.

4 - هو بشار بن برد بن يربوع العقيلي بالولاء ، ولد بشار بالبصرة . وتوفي سنة 167هـ. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات، ص: 263، 264.

5 - هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي. يكنى بأبي نواس. ولد بقرية من قرى الأهواز سنة 145هـ، وتوفي ببغداد سنة 199هـ. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات، ص: 272.

6 - هو العميد أبو إسماعيل الحسين بن علي المعروف بالطرائي . ولد بأصبهان من أسرة فارسية . وتوفي سنة 513هـ. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات، ص: 287، 288.

والنكبات".¹ وفي هذا العصر انقسمت الدولة الإسلامية إلى دويلات كثيرة، مما أدى إلى ازدياد المشاكل والنوائب والفقر والتسلط والظلم، وقد ولجأ الشعراء إلى الشكوى معبرين عن مظاهر الفساد والفقر وسوء المعيشة، يقول العباس بن الأحنف²:

يا أيّها الجائر في حكمه هلمّ إن شئت إلى حاكم
ما أنت بالمحسن فيما نرى منك ولا وصلك بالدائم
أبيت ليلي كلّهُ هائماً لست بيّظان ولا نائم
جاوزت في الجور المدى كلّهُ يا حُبّ لو أنصفت لم تأثم³

ويقول الكندي الفيلسوف⁴ يشتكي فساد الأحوال السياسية وتولية المناصب غير أهلها، فقد ساد الظلم لسبب تقلّب الأحوال السياسية واضطرب القيم:

أناف⁵ الذنابي⁶ على الرأس فغمّض جفونك أو نكس⁷
وضائل سوادك واقبض يديك وفي قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابغ العلوّ وبالوحدة اليوم فاستأنس
فإن الغنى في قلوب الرجال وإن التعرّز بالأنفس
وكائن ترى من أخي عسرة غنى وذو ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت على أنه بعد لم يرمس⁸

112- الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت 1410هـ — 1990م ص: 81, 82, 104. وانظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة د. أحمد هيكمل، دارالمعارف — 1119 كورنيش النيل — القاهرة، الطبعة العاشرة 1986م، ص: 81, 127.

2 - كان العباس بن الأحنف أشهر شعراء الغزل في عصر بني العباس، ولا يكاد يعرف له شعر في غير الغزل. وهو من أولاد العرب النازلة في خراسان ونشأ ببغداد، وتوفي سنة 188هـ. تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، ج 2 ص: 23.

114- ديوان أبي الفضل بن الأحنف، دارصادر بيروت 1978م ج 1، ص: 300.
4 - هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي الفيلسوف، توفي سنة 246هـ. انظر: من تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول لطف حسين العصر العباسي الأول (القرن الثاني)، دارالعلم للملايين بيروت، الطبعة الثانية 1976 ج 2 ص: 464.

5 - (أناف) الشيء ارتفع يقال أناف البناء والعدد زاد على العقد وعليه أشرف. انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى — أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار ج 2 ص: 964.

6 - (الذنابي) الذنب ويقال هم ذنابي فلان أتباعه. انظر: المصدر نفسه، ج 1 ص: 316.
7 - (نكس) الشيء نكسا قلبه جعل أعلاه أسفله أو مقدمه مؤخره ورأسه طأطأه من خزي والطعام وغيره داء المريض أعاده مرة أخرى ويقال نكسه في ذلك الأمر رده فيه بعد ما خرج منه. انظر: المصدر نفسه، ج 2 ص: 952.

119- تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني د. شوقي ضيف دارالمعارف - القاهرة 2001م الطبعة الثانية عشرة. ص: 241

وفي العصر العباسي الثاني، تقدمت الشكوى، وتنوعت، وتوسعت، وشاعت الشكوى من الدهر ومن الناس، وهي شكوى قديمة، غير أنها اتسعت في هذا العصر سعة شديدة، لما شاع فيه من كثرة البؤس والضنك في حياة الشعب.

و"كما ظهر شعر الشكوى من البؤس، الذي كان تعبيراً عن بعض مظاهر الفقر، يقول ابن الرومي¹:

ومدّ ذو العيلة فيه الإصبعاً يشكو إلى الله ويمرّي² المدمعاً

وأصبح القومُ البائسُ جوعاً وحشي الجائع أن لا يشبعاً³

وكذلك ضاق الشاعر بالحياة حتى أصبح متشائماً "فالحياة كلّها سواد وكلّها ظلام وكلها بلاء لا

يطاق، ويصور ذلك تصويراً بديعاً في بكاء الطفل حين ولادته، يقول:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها وإنها لأفسحُ ممّا كان فيه وأزعجُ⁴

إذا أبصر الدنيا استهلّ⁵ كأنه بما سوف يلقي من أذاها يُهدّدُ⁶

وللنفس أحوال تظلُّ كأنها تشاهد فيها كلّ غيب سيُشهدُ⁷

"فالدنيا آلام ثقال وأهوال طوال، والطفل يشعر بذلك ساعة ولادته فيبكي بكاء مرا"⁸

1 - ولد ابن الرومي سنة 221. وأنه مات بين سنة ست وسبعين ومائتين وسنة أربع وثمانين ومائتين. وأنه مات مسموماً، وأن الذي سمّه أو من سمّه هو القاسم بن عبدالله وزير المعتضد، كان يكرهه ويشفق منه فأغرى به من أطعمه شيئاً فيه السم. أن كان سيء الحظ في حياته، لم يكن محبوباً إلى الناس وإنما كان بغيضاً إليهم وكان محسداً أيضاً. فقد كان حاد المزاج مضطربه معتل الطبع ضعيف الأعصاب. فهو شاعر مطيل ومطيل جداً، يبلغ بقصيدته المئات من الأبيات. انظر: من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول (القرن الثاني) لطفه حسين، ج 2 ص: 373, 376.

2 - (مري) الميم والراء والحرف المعتل أصلاً صحيحان يدلُّ [أحدهما] على مسح شيء واستدرا، والآخر على صلاب في شيء. وانظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ج5 ص: 314.

122 - ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة 1423هـ - 2002م ج1، ص: 2726.

4 - (أرغد) صار في رغد من العيش أو أخصب وأصاب عيشاً واسعاً وعيشه جعله رغداً. وانظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار ج1 ص: 357.

5 - (استهل) الصبي رفع صوته بالبكاء وصاح عند الولادة والشهر أهل ويقال استهللنا الشهر ابتدأناه أو رأينا هلاله والمطر هل والعين اخلت والوجه تحلل وفلان الهلال أهله والسيوف استله. وانظر: المصدر نفسه، ج2 ص: 992.

6 - يهدد من هدد: (*الهْدُّ: الهْدْمُ الشَّدِيدُ)، وهو تَقْصُصُ الْبِنَاءِ وَإِسْقَاطُهُ. وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ج9 ص: 335.

126 - ديوان ابن الرومي، ج 1 ص: 53

127 - تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف العصر العباسي ص: 242

و في هذا العصر استخدم الشعراء الصنعة اللفظية والبديع بإسراف، وجمعوا التكلف و الرمز والفلسفة بالدقة والعمق وهذه تتفاوت من شاعر لآخر، وهذا كله بسبب اتصال الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى، يقول ابن خلدون: "وعلى مقدار عمران البلد يكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ، واستجادة ما يطلب منها، بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة"¹ ويشتكى البحتري² في أسلوب بديع:

قد تطلبت مخرجاً من هواه فلم أجد
ضاق صدري بما أج من وقلبي بما وجد
وتغضبت أن شکو ت جوى الحب والكمد³
واشتكائي هواك ذن ب فإن تعف لم أعد⁴

ويقول ابن المعتز⁵ شاكيًا من أحوال الحرمان والنكد:

لم يبق في العيش غير البؤس والنكد فاهرب إلى الموت من همّ ومن نكد⁶
ملأت يا دهر عيني من مكارهها يا دهر حسبك قد أسرفت فاقصد⁷

وظهرت موضوعات الشكوى الجديدة إلى جانب موضوعاتها القديمة لمعاناة الحياة المعاصرة، كما يقول المتنبي شاكيًا من كثرة موانع البرد والثلج التي تمنع النبات من الظهور:

ما للمروج⁸ الخضر والحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق⁹

¹ - مقدمة ابن خلدون للعلامة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان (بدون تاريخ) ص: 281، وانظر: الأدب العربي وتاريخه - العصرين في الأموي والعباسي للدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي، ص: 107.

² - ولد في سنة 205هـ بمنج، وقيل بزرذفة. وتوفي سنة 284هـ. وانظر: ديوان البحتري، دارصادر بيروت (بدون تاريخ) مج: 1 ص: 5.

³ - الكمد، مُحَرَّكَةً: الحُرْنُ الشديد. وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ج9 ص: 113.

⁴ - 131 - العصرين في الأموي والعباسي للدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي، دارالجيل بيروت، 1410هـ - 1990م، ص: 108.

⁵ - ولد ابن المعتز في مدينة سامراء سنة 248هـ في عهد جدّه الخليفة المتوكل وهو عهد زاهر من أجل عهود الخلافة العباسية وأكثرها ازدهارا وتوفي سنة 296هـ. انظر: شعراؤنا ديوان ابن المعتز شرحه مجيد طراد، ج 1 ص: 7، 15. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص: 8، 9.

⁶ - (نكد) نكدا ونكادا شؤم والأمر عسر وعيشه اشتد والشيء نزر وقل يقال نكد ماء البئر ويقال نكد فلان قل عطاؤه أو لم يعط البتة ونكد بجاعتنا بخل بما فهو نكد ونكد (ج) أنكد وهو أنكد وهي نكداء (ج) نكد. انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر. محمد النجار ج2 ص: 951.

⁷ - 134 - تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي لشوقي ضيف ص: 242.

⁸ - (المروج) أرض واسعة ذات نبات ومرعى للدواب (ج) مروج. وانظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر. محمد النجار ج2 ص: 861.

⁹ 1. 136 - شرح ديوان المتنبي، تأليف: عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية بمصر، 1348هـ - 1930م.

وهكذا تعكس هذه الشكوى ثقافة ذلك العصر والأوضاع الاجتماعية والسياسية السيئة. وتحول مسار الشكوى من الزمان إلى ضرب من التشاؤم الشديد كما اشتكى الشاعر الممتني من الدهر متعباً ويائساً لما جمعت المصائب عليه، وتكسر فؤاده، يقول:

رماني الدهر بالأرزاء¹ حتى فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابني سهام تكسرت النصال على النصال²

ولكن موضوعات الشكوى القديمة بقيت نحو شكوى الزمان، وأهله، وسوء الحال، وسخط الإنسان وفقره.

كما يقول مهيار الديلمي³ شاكياً جفوة الأيام:

أشكو إلى الأيام جفوتها شكوى يدٍ العاني⁴ إلى الكبل⁵

وهكذا اتسعت الشكوى حسب معطيات العصر، وتنوعت معانيها واستحدثت ألفاظها، وظهرت قصائد الشكوى مستقلة بدون أن تضم معها غرضاً آخر.

الشعر في العصر الحديث

وظهرت نهضة فنية في الشعر العربي الحديث. وكان للشعر أنماط متنوعة في التعبير والصياغة والأفكار والموضوعات. وتعددت اتجاهات الشعراء ومدارسهم مثل مدرسة الإحياء والديوان وأبولو والمهجر والمدرسة الحديثة، وأثرت الأحداث السياسية في الشعر العربي الحديث بسبب الاستعمار الغربي مما أدى إلى حدوث الحروب المتعددة فازدادت المشاكل الإنسانية كالدمار والتخلف والفساد والظلم والنفي والهجرة في هذا

ج1، ص: 365.

¹ - [رزاً] الرزء: المصيبة، والجمع: الأرزاء. وانظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري ج1 ص: 53.

138- ديوان المتنبي شرح عبدالرحمن البرقوقي، دارالكتاب العربي - بيروت، 1986م ج 3 ص: 141.

³ - هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي، الفارسي الأصل. من شعراء الشيعة بالعراق. وُلد في بغداد سنة 360هـ ونشأ مجوسياً على دين آبائه. اهتم أبوه بتعليمه العربية، فلما شبَّ التحق كاتباً بالدواوين. لزم الشريف الرضي شاعر العلويين ونقيبهم في بغداد، وأسلم على يديه سنة 394هـ. تخرج على يد الشريف الرضي في الشعر، وتوفي سنة 428هـ. وانظر: تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، ج2 ص: 65.

⁴ - (العاني) الذليل والأسير. المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار ج2 ص: 633.

⁵ - (الكبل) القيد من أي شيء كان (ج) أكبل وكبل وأكبال. وانظر: المصدر نفسه، ج2 ص: 774. وراجع للأبيات ديوان مهيار الديلمي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1345هـ- 1926م. ج1، ص: 1750.

العصر. وخاصة ما ساد في النصف الأول من القرن العشرين من الاضطراب والفوضى والقلق، فهزّت قلوب الشعراء، وفاضت قرائحهم لما شاهدوا من هزائم ونكسات، وأعمال خيانة وغدر، وجفاء الإخوان والأصدقاء، والأعداء، وما تلقى المسلمون من الإهانة والذلة بأيدي الحكام الأجانب. وشعر الشعراء بواقع الحياة المرير الذي يكافحونه، والظلم الذي يكابدونه، والجفاء الذي يلاقونه من الأصدقاء والأعداء. فتكلموا عن الحياة والإنسان. ويمكن أن نسمي القرن العشرين بقرن الشكوى والألم بسبب هذه الظروف القاسية المؤلمة.

ويشكو الشاعر **محمود سامي البارودي**¹ من الفراق والبين وفرط لوعته لاشتراكه في حرب البلقان التي حدثت بين الروس والدولة العثمانية سنة 1878م.

سري بهم سير الغمام كأنما له في تنائي كل ذي خلة قصد

فلا عين إلا وهي عين من البكاء ولاخذ إلا للدموع به خد2

ويرفع الشاعر أيضا الشكوى إلى الله لعادات المجتمع الفاسدة حتى سئم الشاعر مكانته بينهم، ورفض حياته الطيبة إذا لم يتمكن من إصلاح هذا المجتمع:

إلى الله أشكو أنني بين معشر سواء لديهم طيب وخبث

لهم ألسن إن رمن أمرا بلغنه من النفس مصنوع لهنّ حديث

ترث على قرب الوداد عهودهم وكيف يدوم الشيء وهو رثيث³

فليس لهم في سالم الدهر محتد⁴ قديم، ولا في المكرمات حديث

برمت بهم حتى سئمت مكاتي وأنكرت طيب العيش وهو دميث⁵

¹ - هو ابن حسن بك حسنى مدير دنقله وبربر على عهد محمد على باشا. ولد بالقاهرة وشبل في نعمة أبيه . وكان مولعا بحفظ الشعر وإنشاده. فأخذ نفسه بدرس دواوين الفحول من شعراء العرب حتى شب فصيح اللسان، مطبوعا على الإعراب دون علم بالنحو. ثم فاض ما حفظ على لسانه فانطلق برائق الشعر في الأغراض المختلفة. وتوفي سنة 1904م. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات، ص: 492.

² - 143- في الأدب المعاصر في مصر للدكتور محروس منشاوي الجالي، دار الطباعة المحمدية - القاهرة، الطبعة الأولى 1399هـ - 1979م، ص: 48.

³ - (الرثيث) الجريح وبه رمق (ج) رثا أو الخلق البالي أو رديء المتاع وسقط البيت. وانظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى — أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ج1 ص: 328.

⁴ - الميختد هو الأصل من (حتد) وهو استقرار الشيء وثباته. وانظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ج2 ص: 135.

⁵ - (دميث) الرجل السهل الطلق الكريم ، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ج5 ص: 252.

إذا لم يغثني الله منهم بفضله فما لي بين العالمين مغيث¹
 و"اتجه الشاعر إلى التجدد والتنوع والتعبير عن الأحاسيس الذاتية والحياة المعاصرة والقضايا القومية؛
 كما أنه ابتعد عن الأمور الشخصية التافهة واتجه إلى الأمور العامة كوصف الطبيعة والحروب والمعارك
 والشوق إلى مصر؛، الحز على البطولة؛ ووصف الليل والنيل؛ وشكوى زمنه ومن حوله من المنافقين
 كقوله:

أنا في زمان غادر، ومعاشر يتلونون تلون الحرباء²
 و"الشاعر يعبر في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي، سواء كانت تعبيراً عن حالة من حالات
 نفسه هو، أم عن موقف إنساني عام ولذا كان في طبيعة التجربة والتعبير عنها ما يحمل الجمهور على تتبعها
 ، لأنه يتوقع أن يرى فيها ما يتجاوب وطبيعة التجربة التي جعلها الشاعر موضع خواطره ليجلو صورتها ،
 كما يصور الشاعر محمد إسماعيل الصبري³ شاكياً من فظائع الإنجليز وما ساموا أهل هذه القرية من
 الخسف والقتل وعذاب السجون في حادثة دنشواي، يقول:

إن أنّ فيها بئس مما به أو رنّ جاوبه⁴ هناك مطوّق
 ومضاجع القوم النيام أو اهل بمعذب يردى وآخر يرهق⁵
 لن تبلغ الجرحى شفاء كاملاً مادام جارحها المهند⁶ يبرق⁷

147- معجم أجمل ما كتب في الشعر العربي، إعداد حامد كمال عبد الله حسين العربي، الناشر: دار المعالي عمان، صويلح الأردن، دار
 التوزيع والتسويق الدولية الطبعة الأولى 1422هـ - 2002م ص: 71

148- مقالة "الوافي في الأدب العربي الحديث"، مدارس "الشعر في العصر الحديث"، إعداد: جمال الدين أحمد مدرّس أول اللغة العربية بالمدرسة
 التوفيقية الثانوية بشبرا، الجزء الأول ص: 3.

149- هو شاعر مصري، ولد في القاهرة سنة 1854م لأسرة متوسطة، وأخذ يختلف منذ نشأته إلى المدارس على غرار نظرائه من أبناء هذا
 الزمان، وكان معاصروه يلقبونه (شيخ الشعراء) ويجمع معاصروه على أنه كان رقيقاً دمثاً وديعاً حلو النادرة، وهو من هذه الناحية يمثل رقة أهل
 القاهرة وما يشتهرون به من خفة الظل ولطف الحس، وتوفي في سنة 1923م. انظر: الأدب العربي المعاصر في مصر للدكتور شوقي ضيف
 دار المعارف ج م ع، الطبعة العاشرة 1992م، ص: 92، 93، 98.

4 - (جاوبه) مجاوبة وجوابا رد كل منهما على الآخر. انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد
 النجار ج 1 ص: 144.

5 - يرهق أي يغشى. وانظر: لسان العرب لابن منظور، ج 10 ص: 128.

6 - (المهند) السيف المطبوع من حديد الهند وكان خير الحديد. انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر .
 محمد النجار ج 2 ص: 997.

7 - المرجع نفسه، ص: 98.

يشكو الشاعر مسعود سماحة¹ من الاحتلال الغربي في سوريا:

بلد يموت وأمة تتألم والدهر بينهما أصم أبكم

حلّت بسوريا الخطوب عظيمة واجتاح لبنان القضاء المبرم²

حييت يا أرض الجباية الألى خاضوا البحار فعلموا وتعلموا

ويصوّر الشاعر أحمد زكي أبوشادي³ وحشية الفرنسيين شاكيا في أسر الأمير عبدالكريم الخطابي⁴ في

قصيدته "الأسد الأسير" ويقول:

أكذا ترزع مصائب الأبطال أكذا تهول مصارع الآمال

أكذا تكون بك الهزيمة نصره لمطامح الجيل الأبي التالي⁵

يشكو جميل صدقي الزهاوي⁶:

أشكو إلى الله عيشا مرا ودا عقاما⁷

ليس النواميس في عا لم الوجود لزاما

¹ - ولد في دير القمر لبنان من أبوين شويرين في سنة 1882م وتوفي في سنة 1946م. وله ديوان شعر ضخّم جامع باسم "ديوان مسعود سماحة" وشعره في نفس المرجع، وانظر: تاريخ الشعر العربي الحديث لأحمد قبش، ص: 291، 292.

² - الميزم الذي يُقْتَلُ جِجَارَةَ الْبَرَام من الجبل ويقطّعها ويُسَوِّبها وَيُنَحِّثها. انظر: لسان العرب لابن منظور، ج12 ص: 43.

³ - ولد أحمد زكي أبوشادي عام 1892م بحى عابدين من مدينة القاهرة، وتوفي سنة 1955م. وآثاره: دواوينه "أنداء الفجر"، و"زينب"، و"مصريات" و"أنين ورنين" و"رجع الصدى" و"الشفق الباكي" وغيرها. انظر: تاريخ الشعر العربي الحديث لأحمد قبش، ص: 236، 237.

⁴ - ولد محمد بن عبد الكريم الخطابي سنة (1299هـ = 1881م) في بلدة "أجدير" قرب الحسيمة المغربية، ونشأ تحت كنف والده، الذي كان يتزعم قبيلة "بني ورياغل"، وقد حفظ الصبي الصغير القرآن الكريم، ثم أرسله أبوه إلى جامعة القرويين بمدينة (فاس) لدراسة العلوم الشرعية واللغوية، وبعد تخرجه من الجامعة عاد إلى مليلية، واشتغل بالقضاء الشرعي، وفي الوقت نفسه عمل في تحرير جريدة "تلغراف الريف"، وقد ساعد كل ذلك على تكوين شخصية الخطابي الذي كانت الأقدار تعد له أعظم المهام وقيادة إقليمه في مواجهة الاستعمار الإسباني والفرنسي. وتوفي سنة 2009م. انظر:

http://ar.jurispedia.org/index.php/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8%D9%8A

158- تاريخ الشعر العربي الحديث لأحمد قبش، ص: 242.

⁶ - هو شاعر عراقي. ولد في بغداد 1279هـ ويشكو فوق آلامه الروحية آلاما عصبية. وشعره في نفس المرجع، انظر: الأدب العصري في العراق العربي لرفائيل بطي، قسم المنظوم، المطبعة السلفية - بمصر بنفقة والتزام المكتبة العربية - ببغداد لصاحبها: نعمان الأعظمي الطبعة الأولى 1341هـ - 1923م ج 1 ص: 7.

⁷ - (العقام) ويقال رجل عقام لا يولد له. انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، ج2 ص: 217.

فقد وجدت نظاما وما وجدت نظاما¹

فكان شعر الشكوى خير تمثيل لحياة العرب في العصر الجاهلي عندما كان الخلل في النفوس والمجتمع. وكان سجلا أدبيا وتاريخيا وتصويرا صادقا لحياة المجتمع.

وفي العصر الإسلامي تأثر شعر الشكوى وأسلوبه بدعوة الإسلام. وامتد نطاق الشكوى إلى الولاة والأمراء، ورفع الشعراء صدى الشكوى إليهم لظلمهم وشدتهم موضعين المشاكل الاجتماعية والسياسية لإصلاح المجتمع وتهذيب النفوس. ولجأ الشعراء إلى الله في شكواهم متأثرين بتعليم الإسلام لأن الله سبحانه وتعالى معين وكاشف البلاء.

وكذلك في العصر العباسي كثرت الشكوى لانقسام الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة لسبب الاختلاف والانتشار بين الأمراء وعامة الناس، وازداد الظلم والفساد والفقر. وهذه الظروف السياسية واضطراب الأحوال هي التي أرهقت نفوس هؤلاء الشعراء، وأصابتهم بحالة من الحزن والتشاؤم واليأس، وقادتهم نحو الشكوى. وصور الشعراء التجارب الذاتية والأوضاع الاجتماعية والسياسية والهواجس النفسية رغبة في الإصلاح في أسلوب دافق بالحرارة والحياة.

وفي العصر الحديث، ذكر الشعراء في شعرهم أحوال الشعوب التي عايشوها وكل ما ألم بها من محن وخطوب. ولهذا عندما نشبت الحروب المتعددة للاستعمار، وكثر الدمار والتخريب والفساد والجور. وعاش الشعراء في هذه المشاكل، فأحسوا بألم بشري وعبروا عنه في شعرهم. وظل الشعراء النجوم المتألئة التي نورت طريق المجتمع المظلمة، وأرشدته في كل زمن حسب معطيات العصر، واستنهضوا بشعورهم الحي خامد الهمم.

¹ - نفس المرجع، ص: 30.